

خطبة بعنوان: معية الله وسائلها وآثارها على الفرد والمجتمع

بتاريخ: 8 جماد أول 1441هـ - 3 يناير 2020م

عناصر الخطبة:

العنصر الأول: معية الله أهميتها وأقسامها

العنصر الثاني: صور من معية الله لعباده

العنصر الثالث: وسائل اكتساب معية الله

العنصر الرابع: أثر معية الله على الفرد والمجتمع

المقدمة: أما بعد:

العنصر الأول: معية الله أهميتها وأقسامها

عباد الله: إن معية الله لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان؛ فإن إحساس المؤمن بحفظ الله له، ويقينه أن الله معه؛ يسمعه إذا شكاً، ويحييه إذا دعا، ويأخذ بيده إذا كبا، ويمدّه إذا ضعُف، ويعينه إذا احتاج، ويلطف به إذا خاف، كل ذلك من أسباب ارتياح النفس وانسراح الصدر، وطمأنينة القلب وتيسير الأمر، وطيب العاقبة في العاجل والآجل؛ فإن ثقة العبد برّبه ويقينه بأنه - سبحانه - المتولي لأمره، وأنه - تعالى - سائق كل خير، وكاشف كل ضرر - لا تتركه هباً للوساوس والأوهام، ولا تلقيه في بيداء اليأس من روح الله، أو ظلمة القنوط من رحمة الله؛ بل تجعله يضرع إلى الله - تعالى - عند كل نازلة، ويستجير به عند كل مصيبة، ويشكره ويذكره، ويمجده عند كل نعمة ورحمة، فيتجه إلى الله في سائر أحواله، داعياً متضرعاً موقناً بالإجابة، منتظراً للفرج من الله، لا يتجه إلى غيره، ولا ينزل حاجته بسواه: { **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** } [النمل: ٦٢]، فيتذكر ربّه في كل أحواله ذاكراً وشاكراً على السراء، وصابراً ضارعاً منتظراً للفرج عند الضراء، ويسأل الله أن يجود عليه بحفظ النعماء، والعافية من البلاء، واللطف في القضاء؛ غير أن هذا الأمر يختص به المؤمن دون غيره؛ فعن صهيب قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ!! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ!! إِنَّ أَصَابَتَهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ!! وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ!!" (مسلم).

أيها المسلمون: إن معية الله تنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة. والخاصة تنقسم إلى قسمين: مقيدة بشخص، ومقيدة بوصف.

فالعامة هي: التي تقتضي الإحاطة بجميع الخلق من مؤمن وكافر؛ وبر وفاجر، في العلم والقدرة والتدبير والسلطان وغير ذلك من معاني الربوبية؛ ودليلها قوله تعالى: { **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ** } [الحديد: 4] وقوله: { **مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا** } [المجادلة: 7].

أما المعية الخاصة فهي تنقسم إلى قسمين: المقيدة بوصف؛ فتكون لمن يحمل هذا الوصف من البشر؛ ومن ذلك: الإحسان والتقوى؛ كما في قوله تعالى: { **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** } [النحل: 128]. ومنها: الإيمان كما في قوله تعالى: { **وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** } [الأنفال: 19]. ومنها: الصبر كما في قوله تعالى: { **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** } (البقرة: 153)

فكل من اتصف بالإيمان أو الإحسان أو التقوى أو الصبر فإن الله معهم ينصرهم، ويحفظهم، ويؤيدهم، ويفقههم، ومعية الله أثن شيء على الإطلاق، أن يكون الله معك، كن مع الله ترى الله معك.

فمعية الله سبحانه وتعالى أعظم معية ، فهناك من يتفاخر بمعية العظماء والكبراء والمشاهير ، يحتمي بهم ويلوذ بهم ، هؤلاء هم من أعمتهم دنياهم عن آخرتهم وغرهم سلطان البشر عن رب الأرباب وتغافلوا بمعية الناس عن معية رب الناس .

أما معشر المؤمنين فعزهم وفخارهم بمعية الله لهم ، من كان معه الله سبحانه تعالى فهل يضره العالم بأسره ولو اجتمع عليه!!؟ قالها المصطفى صلى الله عليه وسلم معلما بها الأمة : " **وَاعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ؛ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ؛ زُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَحَّتِ الصُّحُفُ "** . (أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح) ، وهذه المعية توجب لمن آمن بها كمال الثبات والقوة؛ والمراقبة لله عز وجل .

وأما الخاصة المقيدة بشخص معين؛ فهي التي تقتضي النصر والتأييد لمن أضيفت له؛ وهي مختصة بمن يستحق ذلك من الرسل وأتباعهم. كقوله تعالى عن نبيه: { **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** } [التوبة: 40] ، وقال لموسى وهارون: { **إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى** } [طه: 46] . وقال في موسى وقومه: { **فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ؛ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** } (الشعراء: 61 ؛ 62) ؛ وهذه أخص من المقيدة بوصف .

فالمعية درجات: عامة مطلقة، وخاصة مقيدة بوصف، وخاصة مقيدة بشخص. فأخص أنواع المعية ما قيد بشخص ، ثم ما قيد بوصف، ثم ما كان عاماً. فالمعية العامة تستلزم الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته، والمعية الخاصة بنوعيتها تستلزم مع ذلك النصر والتأييد؛ فلاحظ الفرق بين المعية العامة وبين المعية الخاصة : المعية العامة: معية علم، أما المعية الخاصة: معية إكرام، معية الله العامة مع الناس كلهم؛ أنه يعلم سرهم وجهرهم، معية الله الخاصة -للمؤمنين-: أنه يحفظهم، وينصرهم، ويؤيدهم، ويسعدهم.

العنصر الثاني: صور من معية الله لعباده

أيها المسلمون: تعالوا معنا لنقف في هذا العنصر مع صور ونماذج لمعية الله لعباده من خلال القرآن والسنة .

- فهذه أمنا هاجر: لما تركها زوجها الخليل إبراهيم عليه السلام هي وابنها في وادٍ مترام الأطراف لا ماء فيه ولا طعام ولا شجر ؛ ولا يوجد فيه أحد من البشر ؛ وترك لهما قليلاً من الماء وبعض حباتٍ من التمر ؛ وعاد بأمر ربه إلى فلسطين؛ فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتركننا في هذا الوادي، الذي ليس فيه أحد ولا شيء فيه؟! قالت ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها حتى لا يتأثر بالعاطفة ويحن عليهما وينسى أمر ربه. فقالت له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال نعم، قالت: إذأ لا يضيعنا... يا لها من كلمة عظيمة تنبئ عن إيمان عميق وتوكل عظيم ؛ وثقة لا حدود لها بخالق الأرض والسموات.. إذا كان الله أمرك بهذا فلن يضيعنا.. ثم انطلق إبراهيم -عليه السلام- حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا هؤلاء الدعوات وهو على ثقة بأن الله لن يضيع زوجته وابنه وأن الله معهما: { **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** } [إبراهيم: 37] . وهل يعقل من إبراهيم -عليه السلام- الذي كان يتمنى طوال حياته هذا الولد أن يتركه في هذا الوادي بدون طعام أو شراب؟! لكنه التوكل على الله والثقة به والاعتماد عليه وأن الله معه؛ وتلك والله عقيدة السعداء وطريق الأولياء وبها سعادة الدنيا والآخرة.. وجعلت أم إسماعيل ترضع ولدها إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فقامت على الصفا ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه، ثم سمعت فسمعت أيضاً، فإذا هي بالملك عند

موضع زمزم فبحث بعقبه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه (تجمعه) بيدها، فشربت وأرضعت، فقال لها الملك: « لا تخافوا الضيعة، فإن هذا البيت بينه هذا الغلام وأبوه ». [رواه البخاري].

- وهذه أمنا عائشة رضي الله عنها البريئة الطاهرة: لما اتهما المنافقون قالت: "فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، وقد بكيت ليلتين ويوماً حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، والنبي صلى الله عليه وسلم يمكث شهراً لا يوحى إليه ويقول: " فإن كنت بريئة فسيبرئك الله " (متفق عليه). وهكذا تستعين بقول الله: { فَصَبَّرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } (سورة يوسف: 18). لكن ما كان الله ليترك الصديقة على ما هي عليه من الحزن والكآبة؛ لأن معيته لهذه المؤمنة تقتضي أن ينصرها ولو بعد حين، فأنزل الله تعالى قوله: { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (سورة النور: 11)، فرفعها الله بهذه الآيات التي تتلى إلى قيام الساعة، شاهدة على براءة الصديقة بنت الصديق، وأن الله كان معها .

- وقد كان الله مع الصبي زيد بن أرقم: حين سمع عبد الله بن أبي يقول: "لئن رجعنا المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل"، وبلغ الكلمة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن مثل هذه الكلمة الخطيرة لا بد أن تُنقل، لكن لم يكن معه من يشهد له، وظن قومه أنه غفل ونقل ما لم يحصل؛ فلم يصدقوه، فحقق برأسه من الهم ما ذكره بقوله: "فأصابني همٌ لم يصبني مثله قط" فأنزل الله: { هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ } (المنافقون: 7) . إلى قوله: { يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (المنافقون: 8) ، فأرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها علي ثم قال: " إن الله قد صدقك يا زيد " ، فكان الله مع الصبي الذي كان حريصاً على مصلحة أهل الإسلام .

- وهذا الصحابي هلال بن أمية - رضي الله عنه - الذي رجع من أرضه عشاء، وكان يعمل في الزرع فوجد عند امرأته رجلاً أجنبيّاً، كارثة كبيرة، ومصيبة عظيمة، فرأى بعينه، وسمع بأذنيه، وكان قد نزل قوله: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (سورة النور: 4) ، فلو تكلم الآن تكلم بأمر عظيم سيجلد عليه، ولو سكت سيسكت على غيظ وحنق وشدة، فذهب وتكلم، وكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك واشتد عليه، واجتمعت الأنصار وقالوا: الآن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً، والله يعلم إني لصادق، ووالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه حد القذف؛ لأنه اتهم المرأة وليس عنده بينة، وهو صادق عند نفسه؛ فجاء المخرج من الله؛ لأن الله مع الصادقين، وأنزل الله: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ } . (سورة النور: 6) الآيات، انظر القصة كاملة في صحيح البخاري). فجاء المخرج، وصارت هذه القضية، وعرف حكم الملاعنة، ولم يكن الله سبحانه وتعالى ليتخلى بمعيته عن أوليائه الصادقين في الأزمان الشداد.

- وهذه المرأة الضعيفة خولة بنت ثعلبة: التي نطق زوجها بالظهار، وصارت معلقة لا زوجة، ولا مطلقة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الرجل إذا قال لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي حرمت عليه، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت فأتت امرأته خولة بنت ثعلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتكي وتقول: يا رسول الله أكل شباي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل الفرج من السماء من السميع البصير، وجاء قوله تعالى: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (سورة المجادلة: 1) إلى قوله: { وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ } (سورة المجادلة: 3). الآيات، قالت عائشة: تبارك الذي

وسمع الأصوات، لقد جاءت خولة بنت ثعلبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها فكان يخفى عليّ بعض كلامها، فما برحت حتى أنزل الله هذه الآيات. (انظر تفسير ابن كثير). فالله مع المؤمنين لا يتخلى عنهم، وهذه المرأة في الأزمة النفسية، والحالة الصعبة كانت مع الله فكان الله معها.

- وهذا الصحابي الجليل عبدالله بن أم مك نوم: الذي كان ضريراً، ابتلاه الله بفقد البصر لما نزل قول الله تعالى: { لَأَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }. (سورة النساء: 95) ؛ فجاء ابن أم مكتوم الأعمى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يملئها على زيد بن ثابت ، وسمع الآية، فقال: يا رسول الله فما تأمرني فيني رجل ضرير البصر، ولو أستطيع الجهاد لجاهدت، وفي رواية: إني أحب الجهاد في سبيل الله، لكن بي من الزمانة - أي: المرض المزمن والعاهة المستديمة - ما ترى، ذهب بصري، فنزلت كلمتان: (غير أولي الضرر) وأضيفت في الآية، فأصبحت: { لَأَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } (سورة النساء: 95). (متفق عليه). فكان الله معه وله الأجر كامل لصدق نيته مع الله .

- مقارنة بين معيّنين لأمتين ونبيين: وهنا مقارنة لها أهميتها ودلالاتها الإيمانية بين معية الله للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه، وبين معية الله لموسى وقومه ؛ كما جاءت في القرآن الكريم.

قال الله في النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه: { إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } [التوبة: 40] ؛ وقال في موسى وقومه: { فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ؛ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ } (الشعراء: 61 ؛ 62) . فالله قال في حق أبي بكر { إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } بالجمع، وقال على لسان موسى لما قال له قومه: البحر أمامنا والعدو خلفنا؟! { قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ } بالإفراد مع أن معه بني إسرائيل، فالله أفرد في حالة الجمع وجمع في حالة الإفراد ليدل على أن إيمان أبي بكر يعدل أمة، وأن بني إسرائيل ليس لهم عهد ، وموسى لا يضمن إلا نفسه، ولا يضمن إيمانهم وعهودهم، فلو أنهم وجدوا مخرجاً أو سبيلاً للهروب لسلكوه واعتذروا لموسى وتركوه يغرق وحده، كما قالوا: { أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } (المائدة: 24)، أما أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم فكما قال المقداد بن عمرو: يا رسول الله امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

فكلما بلغ الإنسان درجة عليا من الإيمان والإحسان والطاعة، كلما ظفر بمعية الله تعالى ونصره وتأييده.

وهناك صور كثيرة في القرآن والسنة لمعية الله لعباده لا يتسع المقام لذكرها ويكفي القلادة ما أحاط بالعنق !!

العنصر الثالث: وسائل اكتساب معية الله

أبها المسلمون: كثير منا بل كلنا يتمنى أن يكون في معية الله؛ ولكن ما السبيل إلى ذلك ؟ وكيف ننال هذه المنزلة؟! أقول: هناك وسائل وأسباب لا بد أن تسعى وتجد من أجل كسب معية الله ومن هذه الوسائل:

الإيمان بالله والمداومة على الصلاة والزكاة: وهذه هي المعية الخاصة التي نطمح إليها جميعاً؛ تتمثل في قوله تعالى: { وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } [المائدة: 12] هذا ثمنها: أن تقيم الصلاة، وأن تؤتي الزكاة، وأن تستقيم على أمره ، إن دفعت الثمن نلت المعية الخاصة، والباب مفتوح للجميع .

ومنها: غرس مراقبة الله في نفوس الجميع: فيجب أن نغرس في نفوس أبنائنا وبناتنا وجميع أفراد مجتمعنا خلق مراقبة الله وأن الله معنا في حركتنا وسكوننا؛ قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فانظر إلى صلاة خالي محمد بن سواء فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن

تحرك به لسانك، الله معي الله ناظرٌ إلى الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلتته فوق في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتكم ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه وناظرًا إليه وشاهده أيعصيه؟! “ (إحياء علوم الدين).

وإليكم هذه القصة الواقعية في هذا المضمون: كتب أحد السياح في مذكراته فقال: بعد الوصول إلى الهند ذهبت إلى القصاب لشراء اللحم، وكان كلما أراد أن يزن اللحم لأحد فتح كيساً عنده ونظر فيه، ثم وزن اللحم وباعه للزبون، فلما جاء دوري فعل كما فعل مع من قبلي، فسألته: لماذا تنظر في الكيس قبل أن تزن لكل زبون؟ قال: إني أنظر إلى ربي الموجود في الكيس؛ لأن هذا الهندي وثني يعبد الأصنام، فربه المزعوم معه في الكيس، قال: أنا أنظر في الكيس حتى لا أنسى ربي، وأغش في الميزان.

فإذا كان الوثني عنده هذا المعنى في صنم باطل يعبده فأولى بأهل الحق أن يستشعروا دائماً أن الله معهم فلا يعصون ربهم، ويقومون بالحق وبه يعدلون، ويشهدون، ويقىمون الشهادة لله تعالى.

ومنها: اختبار الصبة الصالحة: فعليك أن تصحب الصالحين لأنهم يقربونك من الله وتكون مع الله فيكون معك؛ وإياك وصحبة السوء فتكون مع شياطين الإنس والجن؛ قال تعالى: { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا } . (الفرقان : 27 - 29) . ولذلك نهي الله نبيه - عليه السلام - أن يكون مع الظالمين؛ قال تعالى: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَفْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (الأنعام: 68).

ومنها: الإحسان إلى الناس: فكما قلنا إن الله مع المحسنين؛ فالإحسان إلى الناس طريق السعادة للمحسن والمحسن إليه على السواء؛ فقد سُئل أحدهم: مَنْ أَسْعَدَ النَّاسِ؟! قال: مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَبْحَثُ عَنِ الرَّاحَةِ وَالسَّكُونِ وَالطَّمَأِينَةِ، فَأَوْصِيكَ أَنْ تَمْسَحَ رَأْسَ الْيَتِيمِ . . وَتُقَبِّلَ رَأْسَ ذَلِكَ الْعَجُوزِ الْفَقِيرِ؛ فَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى الْخَلْقِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَأَنْوَاعِ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ بِهِ الْهَمُومَ وَالْغَمُومَ عَنِ الْعَبْدِ، وَيَعَامِلُكَ اللَّهُ وَفَقَّ مَعَامَلَتِكَ لِعِبَادِهِ. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "من رفق بعباد الله رفق الله به، ومن رحمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن عامل خلقه بصفة عاملة الله بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه". قال تعالى: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } [سورة النساء: 114].

ومنها: حضور مجالس الذكر: فإن ذلك من أكبر الأسباب لانشرح الصدر وطمأنينة القلب، وزوال الهم والغم، قال تعالى: { أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } . [سورة الرعد: 28]. فعاهد الله من الآن على أن لا تغفل عن ذكره، وستجد نتائج سريعة ومبهرة؛ فيها من شكى الأرق وبكى من الألم وتفجع من الحوادث، ورمته الخطوب، هيا اهتف باسمه المقدس، هل تعلم له سميًا .

الله أكبر كل هم ينجلي عن قلب كل مكبر ومهمل

فإذا كنت مع الله كان الله معك؛ وإذا ذكرت الله ذكرك في الملاء الأعلى؛ فعن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ” أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي؛ فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي؛ وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْسِيهِ أَتَيْتُهُ هَرُولَةً ” (متفق)

عليه). قال ثابت البناني رحمه الله: إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل .. ففرغوا منه وقالو : كيف تعلم ذلك؟ فقال: إذا ذكرته ذكرني أما قرأتم قوله تعالى: { فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ}. (البقرة : 152) .

العنصر الرابع: أثر معية الله على الفرد والمجتمع

عباد الله: تعالوا بنا لنقف مع حضراتكم في هذا العنصر مع أثر معية الله على سلوك الفرد والمجتمع ؛ فوالله الذي لا إله غيره؛ لو أن الناس راقبوا ربهم وأيقنوا أن الله معهم يرى ويسمع حركاتهم وسكناتهم؛ هل يأخذ إنسان مال إنسان آخر؟ الجواب: لا. هل تنتهك الحرمات؟! الجواب: لا. هل يضعف الإنتاج وينتشر الفقر والأزمات؟! الجواب: لا. هل تسفك دماء الأبرياء؟! الجواب: لا. لو أن الناس راقبوا ربهم هل تنتشر الخمور والمخدرات والمسكرات؟! الجواب: لا. لو أن الناس راقبوا ربهم لو أن الناس راقبوا ربهم!!!

لكن ضعفت مراقبتنا لله في كثير من أمور حياتنا فعصينا ربنا في الخلوات ، فرحماك يا رب البريات!!

أحبني في الله: تعالوا لنختم هذا اللقاء مع الصورة المشرقة لاستشعار معية الله ومراقبته وأثرها في نفوس الفرد والجماعة :

فقد روى أن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - " مَرَّ بِرَاعِي غَنَمٍ ، فَقَالَ : يَا رَاعِي الْغَنَمِ هَلْ مِنْ جَزْرَةٍ ؟ (الشاة التي تُذبح كالجزور من الإبل) قَالَ الرَّاعِي : لَيْسَ هَا هُنَا رَجُماً ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : تَقُولُ : أَكَلَهَا الدِّئْبُ ، فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : فَأَيْنَ اللَّهُ ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَأَنَا وَاللَّهِ أَحَقُّ أَنْ أَقُولَ : فَأَيْنَ اللَّهُ ؟ فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي وَاشْتَرَى الْغَنَمَ ، فَأَعْتَقَهُ وَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ " . (مجمع الزوائد) وزيد في رواية: أعتقت هذه الكلمة في الدنيا، وأرجو الله أن يعتقك بها يوم القيامة.

فانظر إلى هذا الراعي الذي استشعر معية الله ومراقبته؛ فكانت سبباً لعنقه وأصبحت الأغنام كلها له؛ فكن مع الله يكن الله معك . كن مع الله بالإحسان إلى عباده وإعطائهم مما أعطاك الله ؛ يكن الله معك ويعطيك من فضله ؛ ولذلك بلغ عبد الله بن جعفر مبلغاً عالياً في الجود؛ وعوتب في ذلك فقالوا له: لو ادخرت مالك لولدك بعدك فقال: "إن الله عودني عادة وعودت عباده عادة: عودني أن يعطيني، وعودت عباده أن أعطيهم، وأخشى إذا قطعت عادي عنهم أن يقطع عادته عني! .

كن مع الله بالعبادة والطاعة والاستغفار والتوبة ؛ يكن معك بالمغفرة والرحمة والبركات ؛ كن مع الله بالإيمان والعمل الصالح يكن معك بأن يجعل حياتك سعادة طيبة في الدنيا والآخرة ؛ قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. [النحل:97]. قال ابن تيمية -رحمه الله- في مجموع الفتاوى: "إن سعادة النفس أن تحيا الحياة النافعة فتعبد الله، ومتى لم تحي هذه الحياة كانت ميتة، وكان مالها من الحياة الطبيعية موجباً لعذابها، فلا هي حياة متنعمة بالحياة، ولا ميتة مستريحة من العذاب". أ.هـ .

أحبني في الله: ألا ما أحوجنا إلى أن نسير معية الله، شعارنا (فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ)، نفر منه إليه، نفر من الدنيا إلى الآخرة، نفر من الشهوات إلى الطاعات، نفر من الكسل إلى الجد والعمل؛ نفر من الفتن والنقم إلى من وحده بيديه أن ينجينا منها ، نقدم له القليل فينعم علينا بالكثير ، نطمع في معيته ، فينعم علينا بنصره وتأييده ورعايته وصيانتته لنا ، الله ينادينا ليل نهار هلموا إليّ ، تقربوا إليّ بالطاعات أتقرب إليكم بالإحسان ، كن مع الله يكن الله معك ويهيء لك سبل الخير والهدى.

أسأل الله أن يشملنا بحفظه وتأبيده ورعايته ومعيته .

كتبه : خادم الدعوة الإسلامية

وأقم الصلاة،،،،

الدعاء،،،،

د / خالد بدوير بدوي